الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

# الأسس المنطقية للاستقراء .. واشكاليات الحداثة

اية الله عمار ابو رغيف

سألت الشهيد محمد باقر الصدر يوما، وكنت لم أتجاوز بعد العقد الثاني من عمري، قلت له سيدنا: هل لديكم بحث حول الوجودية؟ فأجابني بلهجة توحي بعدم الاهتمام، أن هناك مقالات متناثرة نشرت في بعض الاصدارات، من دون ان يذكر اسمها، فسألته عن بواعث عدم الاهتمام هذا؟ فقال: ان الوجودية لا تمتلك صورة برهان، اي . والكلام لي . لم تطرح فكرها عبر نظام نظري محدد المعالم. حفظت هذا الحوار، بقيت اعيد قراءته باستمرار... أستلهمه... أبحث عن جوهره، وانا أتأمل مدارس الفكر المعاصر، واستنطقه وأنا اقرأ الكل التأريخي لتطور المعرفة الحديثة، بدءاً ببيكون ودافيد هيوم وعمانوئيل كنت ومرورا براسل وفلاسفة الوجودية وانتهاء بمذاهب التفكيك واتجاهات التأويلية.

الوجودية علي اختلاف مشارب ومصادر روادها تمثل في جوهرها انفلاتا من الأُطر التي افرزتها العقلائية وانقلابا علي النزعة النظرية الشاملة في دراسة الوجود. الوجوديون بصيروراتهم المتنوعة، سواء المؤمنون علي طريقة كريغارد او جبريل مارسل او كارل ياسبرز، ام الهائمون علي طريقة سارتر وهيدجر، يرتلون جميعاً مزمار الانفلات من وضع الوجود الانساني في قفص الاطر الماهوية الجاهزة. هذا الانفلات الذي يؤسس للتفتيت المعرفي، فالفوضى المعرفية حيث الخلاص من قهر سلطان العقل، والتحلل من اخر مقدسات عصر الانوار.

في هذا الضوء نكون قد ارخنا لعصر ما بعد الحداثة (معرفيا علي الاقل)، وتكون الوجودية طليعة هذا العصر الذي يخوض الغرب الراهن في سياقاته. وبهذا التحديد التأريخي المرن نكون قد استبقنا التعريف بعنوان ملتقانا (الاسس المنطقية للاستقراء واشكاليات الحداثة)، اجل فالأسس المنطقية للاستقراء، والحداثة، واشكالياتها، مشكلات تستدعي الايضاح والتعريف.

ما الحداثة؟ وما اشكالياتها، وما علاقة اطروحة الاسس المنطقية للاستقراء باشكاليات الحداثة؟... . اذا اعتمدنا (الان تورين) في تعريف الحداثة، نكون قد رسمنا لها ثلاث سمات:

غياب الالوهية، وازالة السحر عن العالم، والنظرة الفرويدية للجنس.

اما اذا اتكأنا علي (جارس بيدرك)، فسوف تكون سمات الحداثة الرئيسية متمثلة: بسلطة العقل وهيمنة النظام، وسلطة العلم.

وقد ينطلق اخرون من نمط الانتاج في مراحل تطور الرأسمالية ومن مستوي التقنية لتحديد معالم الحداثة. لكننا قد نجد توافقا علي ان الحداثة الغربية ارتبطت معرفيا بالنظرة التجريبية المادية، التي يراها غالبية المتابعين الاساس في تطور التقنية وتطوير انماط الانتاج الرأسمالي.

اما اشكاليات الحداثة، فيمكن ان تقرأ علي طريقة (الان تورين) ومن داخل النظام الرأسمالي الغربي ومنظوماته المعرفية والاخلاقية، ومن المؤكد ان هذه القراءة ليست من نصيب احد من ابناء الشرق، ولا هي القراءة التي اعتمدها استاذنا الشهيد الصدر في درسه الفلسفي.

وقد ينظر الي اشكاليات الحداثة من الخارج ومن موقع المراقب المعرفي. المغاير . بالضرورة لموقع (آلان تورين) وغيره من مفكري الغرب، وقراءة السيد محمد باقر الصدر نموذج لهذه النظرة، لكنه نموذج متميز كما سنأتي علي وصفه وتحليله عامة، وقد وقع اختياره في جل بحوثه، علي الدخول في جدل خصيب مع القاعدة المعرفية واشكاليات المذهب التجريبي في تجلياته المتنوعة.

نبقي بحاجة الي ايضاح رسالة الاسس المنطقية للاستقراء، والهموم التي ساقت صاحبه لولوج هذا الميدان المعرفي الشائك: .

الاستقراء احجية العصور، عالج ارسطو مشكلته الكبرى بارجاعه الي مثاله المنطقي (القياس) اعتمادا علي البديهيات (متكئات ارسطو)، ليدخل التجريبيات في مباديء نظرية البرهان العتيدة. وبقيت معالجة ارسطو لمشكلة الاستقراء تسيطر علي الفكر البشري زمانا لم يدانه اي من ازمنة حياة نظريات ارسطو في الفلسفة والمنطق. اذ لم يطرأ علي هذه المعالجة في تاريخ فكر البشر اي تعديل او تطوير، بل بقيت كما هي حتي عصر النهضة الاوروبية الحديثة.

وحينما افاقت اوروبا من سباتها الطويل ابان العصر الوسيط، وجد العقل الاوروبي في ارسطو خصما وجبت منازلته، لاحق الغرب الحديث ارسطو في ميتافيزقياه وفي فيزيائه، وفي منطقه، وانهالت الضربات علي نظرية البرهان الارسطية واسسها الفلسفية والمنطقية، وكان حظ الاستقراء من الطعن كبيرا.

لم يرتض المذهب التجريبي الحديث معالجة ارسطو لمشكلة الاستقراء بعد ان جفا محظيات ارسطو العتيدة، بل رآها . اي البديهيات . دعاوي لاتعود الي امر محصل.

مال المذهب التجريبي في نهاية القرن التاسع عشر وفي العقود الاولى من القرن العشرين الي الاعتماد في معالجة مشكلة الاستقراء علي معطيات حلقة (فينا) ومادار في فلكها من حكماء، حيث امتدوا عبر (الفرد آير وكارناب) الي ارجاء من اوروبا واميركا.

استقر الرأي علي معالجة الفجوة بين الامثلة الجزئية المستقرأة والنتيجة الكلية التي يفضي اليها الاستقراء الناقص، من خلال الايمان باحتمالية المعرفة التجريبية، ومن خلال نظرية في الاحتمال تستوعب الحساب الرياضي بقواعده الاساسية، ومن خلال الايمان بحاجة الاستقراء، الي المصادرة علي قانون العلية الذي هو جوهر مشكلة الاستقراء.

لقد تركت معالجة مشكلة الاستقراء في العصر الحديث تراثا ثريا كان علي الاسس المنطقية للاستقراء معاينته ونقده، الي جانب القطيعة التي حصلت بين الميتافيزيقيا ومنهج العلم وبين الايمان اليقيني والمعرفة التجريبية، بل المعرفة عامة في فكر الغرب الحديث، حيث كانت (فتوي) (عمانوئيل كانت) بشأن عجز العقل النظري عن تأسيس قواعد الميتافيزيقيا فتوى لها قوافل من المقلدين.

ورد السيد الصدر هذا الميدان بتراثه الثري ليصدر بمعالجات مصيرية وخطيرة في تأريخ المعرفة الانسانية نحاول ان نشير الي منعطفات تأريخية في ماطرحه استاذنا الفقيد رضوان الله عليه:

لنبدأ من اشكالية اليقين في المعرفة، فاليقين في المعرفة الانسانية ازمة مركزية في كل مراحل هذه المعرفة، فهل صحيح ما قاله المعري:

اما اليقين فلا يقين وانما
اقصي اعتقادي ان أظن وأحدسا

ام الصحيح ما قاله ارسطو: ان العلم هو اليقين الذي لايزول ومساواه جدل وظنون خارجة عن دائرة العلم. اشرت الي ان ارسطو عالج ازمة اليقين في المعرفة التجريبية من خلال رد اداة التجريب (الاستقراء) الي قياس منطقي ببركة الكبرى البديهية المزعومة: (الاكثري والدائمي لايكون صدفة). ومن ثم ادخل التجريبات في اسوار مملكة البرهان وجعلها من المباديء لكن مدرسة ارسطو ادركت بحسها الفلسفي الفارق الجوهري بين احكام المنطق المدعومة بمبدأ استحالة النقيضين ويقينها الذي لايزول، وبين احكام التجريبات التي لا يأتي اليقين فيها الا مشروطا بثبات الظروف العامة ومن ثم لا تأييد في يقينها ولا استحالة في طرو الاستثناء علي احكامها.

أما اليقين في حكمة الغرب الحديثة، فقد أفل نجمه، واضحى اليقين الايماني بحكم تعاليم عمانوئيل كنت، أمرا لا يطلب الا من خلال مصادرات العقل العملي، حيث عجز العقل النظري عن تأسيس البرهان علي الوجود الازلي الاول عند ؟كنت؟ واليقين في ظل المذهب التجريبي أمسى أمرا دونه خرط القتاد، بل المعرفة العلمية بأسرها لاتتعدي الاحتمال.

من المعرفة التجريبية انطلق ؟الاسس المنقية للاستقراء؟ فاختار بحق الاجتهاد الاتجاه الذاهب الي خطل معالجة ارسطو باعتماد بديهية الدائمي والاكثري لايكون صدفة، واتجه الي تفسير الدليل الاستقرائي علي قاعدة نظرية في الاحتمال، سنأتي علي وصفها، الا ان الاحتمال عند السيد محمد باقر الصدر لايمثل نهاية رحلة المعرفة، بل طرح نظرية جديدة تقرر ان العلم واليقين يمكن ان ينجبه الدليل الاستقرائي، وان اليقينيات المعرفية لاتنحصر باليقين القياسي.

في هذا الضوء طرح مزاوجة بين منهج العلم ومنهج الايمان حيث ان الاستقراء الذي عدته حكمة الغرب الحديثة الأنموذج الاعلى لتأييد واثبات قوانين العلوم هونفسه منهج الايمان، هذا المنهج الذي يدعو الي قراءة مظاهر الكون والحياة والخلق ليخلص عبر ملاحظاتها الي الايمان بالوجود الغني الأول.

وهنا يحق ان نشير الي ان عطاء السيد محمد باقر الصدر في هذا المجال يمثل أرقي المحاولات المعاصرة لتأسيس ما يدعي بعلم الكلام الجديد، حيث الدفاع عن العقيدة الدينية، علي اساس فلسفي حر بعيدا عن الاشكالية المزمنة التي ابتلي بها جل البحث الكلامي حيث تأسس علي قاعدة الجدل والزام الخصوم. علي كل حال اقام السيد الشهيد الصدر نظريته في اليقين من خلال ما أسماه المذهب الذاتي. اقامه علي اساس نظرية في الاحتمال عكست طرازا متميزا في الابداع ومتميزا في نهج التعامل مع الحداثة وعطاءاتها.

نأخذ عنصر الابداع، حيث انبثق من قاعدته المعرفية وثقافته الفقهية، فاستلهم مفهوم العلم الاجمالي الذي أدى دورا كبيرا في ابحاث علم اصول الفقه في مدرسة النجف الحديثة، استلهم هذا المفهوم ليطرح تفسيرا جديدا للاحتمال علي اساس مفهوم العلم الاجمالي.

وقد حاول ان يكون التفسير شاملاً مستوعبا لاتجاهي اصحاب النزعة الاستقرائية، الاتجاه المنطقي والاتجاه التكراري وبهذا ايضاً حفظ السيد محمد باقر الصدر تقليد الحكمة الاسلامية العريقة في نظرتها الشاملة التوفيقية بين آراء الحكماء الراسخين علي غرار ما صنعه السلف في الجمع بين اراء الحكيمين، جمعا يعكس استشراف الجامع ونافذة رؤيته المسلحة بالأفق الرحب، وليس جمعا تلفيقياً تبرعيا يعكس عجز الجامع وارتباكه في الاختيار.

والاهم من التعريف طريقته في بناء النظرية حيث اسسها علي الاساس الهرمي للنظريات الاستنباطية وسعي الي احكام مصادراتها وتأمين انسجامها مع الحساب الرياضي للاحتمال.

والانجاز التاريخي المبدع فيما حرره استاذنا الفقيد، انه الغي ما ادعاه جهابذة النزعة الاستقرائية ك ؟راسل؟ و؟ريشنباخ؟ من حاجة الدليل الاستقرائي الي المصادرة علي مبدأ العلية، اذ قدم نموذجا لنظرية الاحتمال يستطيع من خلاله الدليل الاستقرائي ان يرفع قيمة احتمال الحادثة دون المصادرة علي مبدأ العلية ومشتقاته.

يبقى علينا ان نتبين المزية التي امتاز بها السيد محمد باقر الصدر في تعامله مع معطيات الحداثة وحكمة الغرب الحديثة ونحن نعترف ان هناك ازمة في التعامل مع الغرب، ازمة لها تجلياتها المتنوعة، عبر القارنين للغرب بوصفه هوية موحدة لاتتجزأ عناصرها، هوية الغازي المستعمر الذي تجب مجافاته والتعامل مع كل معطياته بحذر المقهورين. وعبر الذاهبين الي ضرورة التعامل مع الهوية الموحدة ايضا بوصفها كلا لايتجزأ لكنه المنقذ المستنير الذي يجب ان نأخذ كل انجازاته مأخذ الواله المتطلع الي مواكبة حياة البشر في المعرفة والنمو.

وهناك اتجاه اخر احتل مساحة اوسع في عالمنا، اتجاه التعامل التفكيكي مع الغرب، حيث دعا الي الاخذ بمنجزاته العلمية ونبذ عطائه وتجربته السياسية والاجتماعية وكل ما يرتبط بمقولة ما ينبغي فعله وعالم القيم والاخلاق.

اما سيدنا الشهيد محمد باقر الصدر فميزته انه تعاطى مع الغرب وحكمته انطلاقاً من قاعدة اخري. لا تتضمن ازمة هوية وانما تركب السبيل الاسلم لتحقيق الذات وانجاز مشروع الهوية.

القاعدة التي انطلق بها مشروع الصدر في الاسس المنطقية للاستقراء تقول: ان الانتاج المعرفي الداخلي هو سبيلنا لتحقيق هويتنا وانجازها، والحوار الايجابي النقدي مع الاخر هو الذي يؤسس لتحقيق الذات وتجاوز عقدة الدونية امام انجازات غيرنا من الآدميين.

ان ازمة المعرفة في عالمنا، وفي الشرق عامة تكمن اساسا في غياب الانتاج الداخلي ولاينحصر بروز ازمتنا المعرفية في استيراد مناهج ورؤي منتجة في العالم الاخر، بل عمق هذه الازمة يتجلي في عقم الانتاج المعرفي في ديارنا. والاسس المنطقية للاستقراء منتج داخلي بامتياز يجب الاهتمام في فهمه وفهم رسالته، وينبغي نقده وتجاوز سقفه، لان المعرفة وفلسفة العلوم فيما انتجه الاخرون قد تجاوزت اشكاليات النزعة الاستقرائية وطرحت اسئلة جديدة. معرفتنا عامة ومعرفتنا الدينية علي وجه الخصوص لا يمكنها ان تحتل المكان اللائق بها، من دون ان تواكب تطورات المعرفة المعاصرة باشكالياتها المتنوعة، فتغفل الانتاج الداخلي المؤسس علي قاعدة الاصالة وفي افق مدرسة الاجتهاد مدرسة اهل البيت عليهم السلام التي لنا شرف الانتماء اليها.

# العرب على هامش عالم العمل

٢-٢

هاني الحوراني

### إهمال اللجان الفنية للمؤتمر

من ناحية أخرى سجل التقرير الصادر عن المركز العربي السويسري لدراسات التشغيل وحقوق الإنسان في العمل ملاحظاته على غياب المشاركة العربية أو محدوديتها في أعمال اللجان الفنية (التقنية) للمؤتمر، وذلك "لغياب التحضير التقني الجيد عن المشاركة العربية في أعمال اللجان"، حيث افتقرت المجموعة العربية "لعناصر خبيرة في الأمور التقنية"، ولاعتقادها بأن "أعمال لجان الصياغة ثانوية الأهمية". واستنتج المركز المذكور "أنه لا يكفي أن تسجل الوفود العربية نفسها في اللجان من دون المشاركة الفعالة في مختلف دورات عمل اللجان".

وفيما يخص لجنة تعزيز العمالة الريفية للحد من الفقر، والتي اجتمعت في ١٤ جلسة عمل مطولة أول مرة منذ عشرين عاماً، فقد سجل التقرير أنه باستثناء كلمات محدودة وموجزة لوفدي المغرب ومصر، فإن اللجنة لم تستمع إلى "أي مداخلة عربية مميزة في اطروحاتها".

والأفدح كان الغياب العربي عن أعمال لجنة تعزيز قدرة منظمة العمل الدولية التي بلغ عدد أعضائها في إحدى المراحل ٢٢١ عضواً (١٠٨ عن الحكومات و ٣٤ عن منظمات أصحاب العمل و ٦٩ عن العمال). ويسجل التقرير بالحرف أنه "في جميع مراحل عمل اللجنة كان الغياب العربي شبه كامل، سواء من حيث المشاركة أو التنسيق أو التشاور العربي/ العربي". وبعد أن يسجل لمندوبي عمال مصر وسورية حضوراً مميزاً في فريق الصياغة الموسع، يردف التقرير بأن "التغيب كان كاملاً في لجنة الصياغة القانونية".

ولما كان عمل هذه اللجنة يتعلق بإعداد "إعلان منظمة العمل الدولية بشأن العدالة الاجتماعية من أجل عولمة عادلة"، فإن المركز المذكور سجل استغرابه لأنه لم يلحظ أعضاء اللجنة المذكورة أي "موقف أو رؤية تعبر عن الموقف العربي، إيجاباً أو سلباً، أسوة ببقية المجموعات الاقليمية صاحبة المواقف البارزة"، أو المجموعة الإفريقية والآسيوية برغم انتماء البلدان العربية إلى هاتين المجموعتين. علماً بأن أعمال هذه اللجنة كانت تسجل حدثاً تاريخياً في مسيرة منظمة العمل الدولية. وينتهي التقرير إلى أنه كانت هناك مجموعات اقليمية فرعية حريصة على إبراز موقفها وإسماع صوتها في سياق المجموعة الاقليمية الكلية التي تنتمي اليها، ولذلك كان من المفترض أن تتشكل في اطار هذه المجموعات الاقليمية مجموعة عمل تبرز وجهة النظر العربية وتثبت تفاعلها مع مساعي التطوير والتحديث والملاءمة.

وللانصاف فإن التقرير يشير إلى جهود فردية استثنائية لمندوبي بعض الدول العربية مثل قطر، سورية، لبنان والجزائر.

### تراجع القضية الفلسطينية في أعمال مؤتمر العمل الدولي

بقي أن نشير إلى أن هامشية الدور والتأثير العربي الذي تجلى في الدورة الأخيرة من مؤتمر العمل الدولي قد شمل القضية الفلسطينية، إذ انه وبخلاف دوراته في السنوات السابقة، لم يكرس المؤتمر جلسة خاصة للنظر في ملحق تقرير المدير العام الخاص بوضع عمال الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة. ولذلك اكتفت الوفود بإبداء الرأي والتعليق على هذا الملحق في كلماتها خلال الجلسات العامة للمؤتمر. ومن أصل الدول المشاركة وعددها ١٦٨ دولة، فقد علق على هذا الملحق ١٢ مندوباً من غير العرب في حين بلغ عدد المتحدثين العرب (من الحكومات وأصحاب العمل والعمال) ٢٧ متحدثاً.

والمعروف بأن مكتب العمل الدولي درج على ايفاد بعثة سنوية إلى فلسطين والأراضي العربية المحتلة الأخرى منذ عام ١٩٧٧، وكانت البعثة تصدر تقريرها حول أوضاع العمال في هذه الأراضي، ويناقش ضمن أعمال المؤتمر السنوي لمنظمة العمل الدولية. لكن الاهتمام الدولي بهذا التقرير انحسر تدريجياً وبلغ ذروة الانحسار في الاشارات الهامشية لعدد قليل من الوفود في مؤتمر العمل الدولي الأخير.

بطبيعة الحال فإن هامشية الدور العربي في المؤتمر المذكور لم تكن حصيلة "مؤامرة" أو عراقيل غربية بقدر ما هي محصلة تقصير ذاتي. فالغالبية الساحقة من الوفود العربية، (وينطبق هذا على الحكومات كما على ممثلي أصحاب العمل والعمال) تتعامل مع المؤتمر السنوي لمنظمة العمل الدولية باعتباره فرصة للسياحة والاستجمام والتسوق في "الربوع السويسرية"، ومناسبة لاقتناص "الميامات". وذلك من دون أن نهمل حقيقة أن المؤسسات العربية المعنية لم تطور خبرات أو كفاءات مهنية محترفة ومتمرسة بالجوانب القانونية والفنية التي تتطلبها عادة المشاركة في هذه المؤتمرات وأعمال لجانها الفنية.

يحدث هذا في الوقت الذي يعاني فيه العالم العربي، كجزء من عالم الجنوب، اختلالات هائلة التي حملتها العولمة الاقتصادية، وألقت بآثارها وتبعاتها السلبية على أوضاع وحقوق العاملين في البلدان النامية، ومنها البلدان العربية، وهو الأمر الذي كان يمكن الحد منه من خلال المشاركة العربية الفعالة وبناء التحالفات وصياغة المواقف المشتركة مع وفود البلدان والأطراف الدولية المعنية بمواجهة العولمة الرأسمالية المتوحشة، وهي كثيرة ومؤثرة.

# انهم يرقصون ليلة عيد الموسيقى

سعيد الحمد
اعلامي وكاتب من البحرين

إنهم يرقصون ليلة عيد الموسيقى هذا العنوان مستوحى من فيلم شهير عرض في السبعينيات "انهم يرقصون ليلة رأس السنة" صفقنا له كثيراً آنذاك وهو يعرض في درامية رائعة بعض صور "توحش الرأسمالية" في البعد الاجتماعي وهي الرأسمالية نفسها التي نقرأ اليوم فيما نقرأ انها تفتح قصورها وشوارعها ليلة احتفال عيد الموسيقى للجمهور، ليعبر عن بهجة اخرى في عالم آخر يفهم ويعلم ان للموسيقى وجهاً وجدانياً آخر يشع داخل الروح ويتألق بالوجدان الانساني إلى ذرى الشفافية والابداع. قصر الاليزيه في فرنسا قرأنا انه وبقرار من الرئيس "المختلف" نيكولا ساركوزي فتح ابوابه امام الجمهور للمرة الاولى بمناسبة يوم الموسيقى او عيد الموسيقى، وصدر بذلك بيان ان اوركسترا الحرس الجمهوري ومن ثم جوقة الجيش تفتتحان الحفل في ساحة الشرف في الايليزيه مع عزف موسيقى ومؤلفات شوبان وتشايكوفسكي وموزارت واختتمت الحفل فرقة برازيلية بمعزوفات وقطع موسيقية اخرى منتقاة من المؤلفات العالمية.

ليست لحظة عادية وليس خبراً عادياً ولكنه وعي حضاري تجاوز لحظته "الرسمية" ليعيد للفن للموسيقى اعتبارها وليكشف لنا هنا كم هي "الموسيقى"تعيد صياغة الانسان ذوقاً واحساساً وجمالاً ورقياً عندما تلامس مسام روحه فتنقيها من شوائب لحظة حياتية عاصفة لترتفع بها إلى فضاءات التذوق والتألق والانتقال إلى عوالم الابداع والبهجة التي تصحرت وجفت ارواحنا بدونها بعد ان خاصمنا الابداع وطاردنا الموسيقى ولاحقناها في كل زاوية ومكان لنخنق صوتها فنخنق روح الابداع فينا، تلك التي يبثها داخلنا لحن موسيقي شفاف يلامس شغاف القلب والروح. ولو لم تكن الموسيقى كذلك لما غردت البلابل في سيمفونية صباحها ومسائها، ولما تمايلت الاغصان في معزوفة ابدية هي روح الموسيقى في الطبيعة وفي الطيور، فما بالنا بالانسان الذي يحتاج شيئاً من البهجة، وشيئاً من الفرح، وشيئاً من المرح، صادرناه وطاردناه ولاحقناه، حتى تصحرت من حولنا كل الاشياء، وجفت حناجر بلابلنا عن مجرد تغريدة صباحية او مسائية.. اسألكم متى سمعتهم آخر تغريدة بليل، حتى بلابلنا وعصافيرنا كفت عن التغريد، وغادرتنا لتحل الغربان مكانها في اطلالة ذات بعد يكشف عن تصحرنا نحن الذين حاربنا تغريد البلبل وفجعنا بالغربان، تقف عند كل صباح على نوافذنا وفوق اغصان اشجارنا.. لا تسألوا اين البلابل والعصافير بل اسألوا اين الموسيقى واين اللحن واين الشجن..؟! قصر الاليزيه واحد من قصور اوروبية عديدة وساحة، الاليزيه واحدة من ساحات اوروبية عديدة فتحت ابوابها وهيأت مكانها ليلة عيد الموسيقى للموسيقى، تعيد فيهم تخليق الوجدان وتنشر حولهم البهجة في رقصة ايقاع واحد.. تذكرت كل ذلك وانا استعيد كيف نجحنا في السنوات الاخيرة وفي زمن قياسي قصير في اجتثات آخر اشكال البهجة والفرح بمصادرات وملاحقات ممنهجة لا تترك ثغرة "يخترقها" صوت يغني او حفلة موسيقى تقام. هل تتذكرون حفلة غنائية او موسيقية اقيمت في منطقتنا في الفترة الاخيرة من دون ان تعترضها التنديدات والتهديدات، ومن دون ان تتحرك جماعات منع الفرح وقمع البهجة لوقفها حتى لا يفرح الناس ولا يبتهجوا؟ انتهت روسيا القيصرية بما لها من سطوة وانهارت روسيا الشيوعية بما لها من قوة، وتساقطت تماثيل القياصرة الروس وزعماء البلاشفة. وحده تمثال الموسيقار تشايكوفسكي ظل شاهداً وظل علامة على ان كل شيء إلى زوال ما عداه الفن الذي يبقى اضاءة في التاريخ ودليلاً في جغرافية المكان. وليست المفارقة في جغرافية المكان ففي العصر المعولم سقطت المسافات ولكنها المفارقة والفارق في جغرافية الوعي وتجولاته ان يمضي إلى الامام دائماً مستشرفاً انوار العقل وانوار الروح وبين ان يمضي الوعي إلى الوراء مستدلاً بعلامات انغلاق الوعي وانغلاق الروح. لذا هم هناك في جغرافية وعيهم يخلقون البهجة ويصنعونها ونحن هنا في جغرافية وعينا نذبح البهجة.. وهذا هو الفارق الذي لم ندركه، احتضنوا الموسيقى فابتهجوا وطاردناها فاكتأبنا..!!

# الاستيراد المنفلت.. وأثره السلبي

راسم قاسم

من الاخطار الجسيمة التي واكبت المسيرة الاقتصادية على مدى عدة عقود هو التخبط العشوائي بين سيطرة الدولة على وسائل الانتاج الذي يتبع تسلم الحزب الواحد للسلطة واندفاعه غير المدروس وراء شعارات كانت بمثابة ساحة اختبارات لصدقية هذا الحزب وغيره وكانت الاحزاب ذات التوجه القومي تتبارى فيما بينها لاثبات اشتراكيتها المقيتة بصورة مشوهة عن الاشتراكية الماركسية وكانت مدة الستينيات حقبة صراع بين هذه الاحزاب والتباهي بطرح افكارها الاشتراكية.. وبين النكوص بعد مدة وبعد فشل هيمنة الدولة على وسائل الانتاج لضعف جهازها التنفيذي وفساده.. وادى هذا النكوص الى تحول رأسي الى سياسة حرية السوق وللحالتين اضرار ألمت بالاقتصاد العراقي وادت الى تخبطه لعقود وعدم ادائه لدوره في البناء والتحول للافضل.

فهيمنة الدولة على وسائل الانتاج ادت الى الاعتماد الكلي على ما تنفذه الدولة واصبح المواطن اسير ما تقدمه الدولة من خدمات ومشاريع وشجعت المجتمع على الاتكالية والسلبية وعدم الابداع والابتكار.

ولما كانت الدول ذات السيطرة الشمولية والاسلوب الدكتاتوري تهيمن على كل شيء.. فلقد جرت البلاد الى اقتصاد مؤطر يخضع لنزوات الحاكم المستبد برأيه، واصبح الاتفاق الحكومي غير المبرمج يستهلك كل الدخل والريع الوطني وقادت البلاد الى الاستهلاك بدل تشجيع الاستثمار وافساح المجال امام القطاع الخاص للمشاركة الفعالة في البناء الاقتصادي.

ولعدم ثبات الرؤيا لدى هذه الحكومات وعدم اعتمادها على التخطيط المسبق فلقد ادركت في السنوات الاخيرة من حكمها فشل السياسة الاقتصادية المعتمدة على الدولة وقامت بالتحول نحو حرية السوق وقامت بانهاء المشاريع الحكومية وبيعها للقطاع الخاص ولكن البيع لهذه المشاريع تم بصورة غير مدروسة حيث سيطرت جماعات امية لا تمت الى الانتاج بصلة وليست عندها الاحاسيس الوطنية واكثرهم من اقارب الحاكم والمتزلفين والاعوان.

فادى الى خراب تلك المشاريع واتجهت الدولة الى الاستيراد وفسحت المجال امام من هب ودب ان يستورد ما شاء له ذلك وازداد الامر خطورة بعد سقوط النظام المقبور حيث اصبحت الحدود مفتوحة بصورة مطلقة واستغلت الدول المجاورة هذا الفراغ وراحت تصدر للعراق كل انواع البضائع الاستهلاكية التي ادت بدورها الى منافسة المنتوج الوطني واستطاعت التغلب عليه كونها تعتمد الصناعات الكثيفة رخيصة الثمن والرديئة النوعية واغلقت كل الحرف والصناعات الوطنية ابوابها التي اغدقت عموم البلاد وجعلت اسواقنا اسواقاً استهلاكية لبضائع فائضة عن الحاجة.

ان هذا الانفلات العشوائي للاستيراد يستنفد مجمل الدخل القومي ويؤدي الى ركود الاستثمار والاعمار والبناء والاعتماد على القدرات الذاتية.

ان الكثير من الدول قد اكتفت محلياً واصبحت تقوم بتلبية كل احتياجات السوق والمستهلك من انتاجنا وصناعتها الوطنية ولا تسمح لاي مستورد بالدخول الى اراضيها وبذلك حققت هذه الدول عدة مردودات اقتصادية منها انها حافظت على دخلها الوطني واستغلته في الاستثمار المجدي، وهي شغلت معظم الايادي العاطلة وساهمت في بناء اوطانها صناعياً وزراعياً.

فمتى تلتفت الدولة الى هذه الناحية وتبدأ بالتخطيط الامثل لترشيد الاستيراد والبدء في العد العكسي للاكتفاء الذاتي..

آراء وأفكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. لا يزيد عدد كلمات المقالة على ٧٠٠ كلمة.
٢. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة ومرفق صورة شخصية له.
٣. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:
Opinions112@yahoo.com